

## هل أعلن الشاعر الكبير الراحل وداعه الأخير في مجموعته الشعرية «قلم واحد في ثلاث أصابع»

# جوزف حرب حمل قصائده الأخيرة أحزاناً عميقة ولوعة خسارة وفقد

كتب الشاعر اللبناني جوزف حرب في مجموعته الأخيرة، قبل غيابه مطلع العام الجاري، شعراً يبدو بعضه مقدمة للرحيل، وعن الإحزان العميقة، كان فيه نوعاً ذاتياً بائساً.

المجموعة التي تحمل عنوان «قلم واحد في ثلاث أصابع» تحوي قصائد تفيض صوراً حية وأوزاناً هادئة، في 428 صفحة قطعاً وسطاً وصدرت لدى دار «رياض الريس للكتاب والنشر» في بيروت. قصائد حرب متعددة الوزن والقافية، تتسم بنديس موسيقي خفيض، بعيد عن الدوي والصخب، فكانها تتنطق بلسان الإحزان المتعددة، أو ترسم في أقسام منها لوحات فنية فيها طرافة وقدر من الغرابة والجمال.

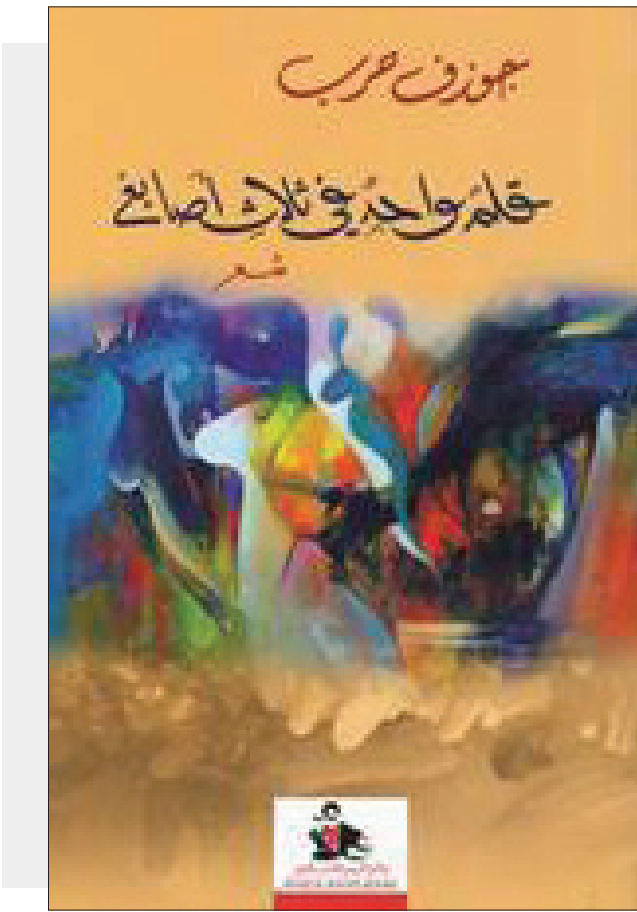
بين القصائد الأولى واحدة تفيض حزناً ولوعة وشعوراً بالخسارة والفقد، ويمرور الزمن في قسوة صامتة. حملت القصيدة عنوان (لا شيء) وفيها يقول الشاعر «لكثرة الغياب والوداع - وكثرة الرحيل - يقطر بالدموع بيتي يكثر التلويح - فيه العمر - ضاع - ضاع - لا شيء في بيتي سوى الذراع - لا شيء إلا عيني التي ارتدت - مدمعها - الطويل».

أما قصيدة «الموتي» ففيها محاولة للهروب من الأحزان من خلال تخزين الصور التي نحب، وفي مسعى إحياء استيقاظ الزمن، بل تجسده عند حالات وجوده معينة والاحتفاظ بصور للأحبة. ويقول الشاعر: «متلّي راسي بالأموات ولكن - لا قبر براسي - لا شاهد - لا ألواح - ولا سرو - وليس براسي أي رفات - بل أحياء يعيشون كما كانوا - قبل - جنائزهم - لا راحل منهم - لا غائب فيهم - وبرغم مرور الأيام - فلا أحد منهم يكرر. في راسي - صور للأعمار السابقة... الوقت لهم». ويضيف بما يذكر بأسطورة أوفريوس الذي كتب عليه أن يشعر بحبيبته الراحلة حية وراءه، فلا يراها أو يلمسها أو يتحدثها. يقول حرب:



جوزف حرب

«غابوا - لكن - في الأفق الساكن فينا - لا للمجهول - لا نلمسه - لا نتحدث أبداً معهم - نتأمل - ندخل في أن نتصور من ماتوا - نتحول - من واقع أنا نحيا معهم أحياء - لان نتخيل - نتخيل - فيهم بعض منا - فينا بعض منهم - ومع الموتى نتبدل - لا يمحوهم نسيان - ما أن نندكرهم - يتساقط فينا مطر الأحزان - وتمر الأيام علينا - سوداء القمصان».



ولا يجدي الطواف - كم أخاف. ليس عندي لحبيبي نرجس الماء - ولا عندي لخصر الشمس - زنار - ولليل سلاف - كم أخاف - لا شموع لعروسين ولا كأس نبيذ أو زفاف - إنها أجنحة للبعد - سواد وجفاف - كم أخاف... إلا أن هناك حسرة تآكل الشاعر، فالعمر يمضي سريعاً وكان يتمناه أطول من ذلك. في قصيدة «عمري» يقول: «كلما فكرت في عمري أمام الكون - أخجل. لبت عمري كي أملي مقلتي - من رؤية الغيم - أمام الريح - يجري - كان أطول».

يقول الشاعر على نفسه وعلى العالم، ففي قصيدة «باب»: «ولكي - لا أحد. يقربه هذا الباب على - لا - باب -لدي». وعلى نهج الرومانتيكيين الذين يرون الكون في حبة الرمل ومحيطات العالم في قطرة الماء، ونهج الحزائي الذين يرون اختلاط البدايات في النهايات يقول: «لم الملح غيماً - والأرويات النهر - والصبح. أرى في الصبح - العصر - وإذا مرت ثانية - أعرف كيف يمر الشهر».

لدى الشاعر عالم من الصور الموحية منها المجازي ومنها المنسوج بأدوات الواقع. في قصيدة «بيتي» يقول: «أحيا في أغنية. بيتي أغنية أحيا - فيها وأنا أصغي لجمال اللحن - وحين أغادر بيتي - تغفل خلفي - أذناي - باب - الناي». وفي قصيدة «وجع»: «أغلى - الجميل - وجع - يحمله الكلام - مثل - هجرة البجع».

للجوع ورحيله هوى في نفس الشاعر، ففي قصيدة «بجع»، وهي عن البجع المتسلك، يرسم لوحة بانورامية مشهدة خلابة تحفل بحزن يتحرك بهدوء وصمت وجمال. يقول فيها: «من الشباك - أرى بجعا غروب الشمس مرخياً - يا جحشة - بلون ملاك - مساء الخير قلت له - رفعت ملوحاً بيدي. فلا لوح - ولم يصح - وحين شيرازية النسيج - الضفاف». ويضيف: «كيف أحيا؟ لا صلاة البحر - تجديني -

في قصيدة «فلا تعترف» نوع من الوداع للحياة ووصف لزمان الرحيل: «ما عاد لي وقت - ولا أهل ودار - ما عاد عندي مقعد لي - بعد - في هذا القطار - ما عاد لي حتى مكان - كي ألق - فلا تعترف... رحل النهار».

في قصيدة «المائدة» جردة حساب للعر تنتهي - كما انتهت سمكة ارنست منهغواي في روايته «الشيخ والبحر» - مجموعة عظام جرداء: «المائدة - لم يبق

منها - مع مرور السنوات - إلا الفتات... يبقى هناك قليل من التعويض وبعضه في الشعر. ففي قصيدة «خوف» يقول جوزف حرب: «كم أخاف - أيها الشعر إذا غبت طويلاً - أن يصيب الروح والأوراق الحبر - الجفاف - كم أخاف - أن يصير الحبور لا أوراق أو - طير ولا - قصصان شيرازية النسيج - الضفاف». ويضيف: «كيف أحيا؟ لا صلاة البحر - تجديني -

## الذاكرة وأوجاع المنفى في رواية «صخرة هيلدا» لهدية حسين

بين الواقعيّ والمتخيّل، تنسج الروائية هدية حسين مادتها السردية، راسمة خطوطها المختلفة الاتجاهات والمسارات من معين ذاكرة شعبية يسيل من الحوادث التي تنتمي إلى مقاطع زمنية لكنها متقاربة لناحية التتابع الزمني الذي أضفت سيرورته الديناميكية في جعلها تلحق بركب المهاجرين قسراً من أبناء جلدتها. يلقي بها قطار الهرب من جحيم واقع البلد في أتون المعنى الكندي البارد يتفاصله كافة، عله يطفى شيئاً من جمر الذكريات المريرة التي ازدحمت بها ذاكرتها. وتنتج عن تفاعلاتها حالة من الإرهاق الذهني فتقتصد إحدى عيادات الطب النفسي في عمان، على ما يرد في سياق النص.

تدخلنا الروائية هدية حسين في رحلتها السردية المتميزة بسلاسة اللغة واستثمار جمالياتها التي طوعتها لعدة مستويات وفقاً لطبيعة إنتاج المعنى وتوالد الإفكار الكامنة وراءه، ففي مقاطع شعرة نشرع باننا أمام قصيدة شعرية مكثفة تنثر دلالاتها في إنسيابية.

في مواضع أخرى نشرع باننا أمام مؤرشف يحاول الكشف عن تفاصيل الحدث بدقائقه الصغيرة مما يجعلنا كمنلقين أمام مشهدة حبلتي بمفاجآت قد يطلقها الفعل الدرامي في أي لحظة، وساعد الفعل الدرامي في رقد الفعل السردية بقيم سيميائية تعبيرية. وتتعامل الروائية مع الذاكرة لتسجيل ما استعصى على النسيان من حوادث، وأماكن وأشخاص. ورغم أن الذاكرة تمثل ما مضى من أزمان، إلا أنها تتمظهر في هذا النص الروائي بيتاً دافئاً من بيوت التاريخ الذي ما زال محتفظاً بصدى الحوادث، غارساً بصمته عميقاً في الذاكرة. ولا يتمكن النسيان ولا وصفه الطبيب النفسي من محوها يوماً، ما ساعد القضاء السردية ووسعه ودعم إمكاناته التأويلية بالكثير من القيم التعبيرية والرمزية عبر آلية جعلت المكان السردية مساحة خصبة للبناء والقراءة والاستنتاج.

في معرض تأملنا للرواية التي تحمل عنوان «صخرة هيلدا» والصادرة حديثاً لدى «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» يمكن القول إن العنوان يتجه في منحنى معين وبيبرز حالة العلاقة الاشكالية بين ذات الراوية الذي تسعى إلى مخاطبة الآخر الذي لا تجده في عزلتها القسرية، ما يجعلها تتجه نحو صخرة صماء أثمرت عبر مونولوجاتها الطويلة أن تمارس لعبة الوجود. وتطلق العنان لذاكرتها مستخدمة لغة تنهض بالبنية السردية ومعارها وأدائها في وضع بؤرة مركزية تنظمها منها العديد من الخطوط والشخوص والحوادث، بوصفها محاور تحيط بدائرة السر المنطق فيها من الذات الرواية التي انتهت لعبة الحرب والفقدان والحب، وأخيراً صراع التأقلم مع مفردات المنفى الجديد.

## الفن التشكيلي المغربي يتعزز حضوراً وقيمة وتنوعاً

بان اللوحة الفنية «طلسم أحمر» جميلة بامتياز، وندرة أعمال الشراويي أحمد الشراويي «مريم كازا» عام 2013 5.3 ملايين درهم، في مزاد علني نظّمته الشركة المغربية للأعمال والأدوات الفنية في الدار البيضاء. والقيمة نفسها بلغتها لوحة الشراويي «طلسم أحمر».

سوق الفن في المغرب بخير. وأكثر انتعاشاً مما يظنه البعض. أرقام قياسية تصاعدية تسجل في كل مزاد علني. وأوردت مجلة «Telquel» المغربية أنه يجب الاعتراف



أعمال الشراويي أحمد الشراويي «مريم كازا» عام 2013

تبرز اللغة في هذا النص بفاعليتها وتدفعها، وتتجلى بوصفها من أبطال الرواية وهي نقطة إشعاع تخزي بالتجليل والتفسير الشيفرة والإسكاف بخيوط ترتيب المتن على النحو الذي يجعل القارئ في حالة تشويق منتقلاً بين فصول الرواية ليملك بتلابيب الحوادث من خلال سياق متسلسل يشي بالجديد.

يتوزع متن الرواية على مجموعة من الطبقات التي تحيط بالمركز السردية الذي تدفعه الروائية في اتجاه نقطة المركز، لتتجسد العلاقة بين كل طبقة من خلال توليفة فريدة يتداخل فيها المخيال الفني مع الذاكرة، فتكشف لنا الروائية هدية حسين عن عوالم مختلفة جعلها نتجها الواقع بوحشيته الناجمة عن جرعة القبح والخراب والحروب والفساد، وتعيد صوغه بلغة فنية جميلة بعيدة عن التعقيد لكنها تختزن طاقاتها التعبيرية ضمن أنساقها. وتسجل وبيمات العذاب بلغة التعبير والمجاز وتعيد قصها لصخرة صماء تدعى «هيلدا» تجنو على أديم أحد المنتزهات القريبة من محل إقامتها في هاملتون، كندا. وترى في هذه الصخرة الصدر الحنون الذي قد يسمعها ويحفظ أسرارها من التسرب ويتفهم قلقها ووحدها ويستوعب هواجسها وأرهاصاتها الناتجة من شريط الذكريات وتقول إنها أضاعت نصف عمرها متخذة بها.

تنتمي رواية «صخرة هيلدا» إلى الكتابة الروائية الجديدة التي تبني عناصر أصالتها وفنها بوحي وفهم. تتنطلق من قوة ذاكرة تعاييش بشفاقية خريطة الوطن وقت محتته تفسير عالمه الداخلي الملتبس والمعني برؤية إبداعية سيرورة درامية النابضة وإيقاع جميل. إن تمسك الرواية بشفاقية لغتها وحاستها الجمالية عوالم الشخص، ضمن سياق مواز للعالم الخارجي من خلال شعورها بهول الحوادث التي عايشتها في بلد ما زال يعيش سوريالية الحدث.

تندفق سيولة الذاكرة لدى الروائية هدية حسين لتحرك الرواية في اتجاه أداء بصري جمالي يفيض بشاعريته. وللقاصدة والروائية هدية حسين العديد من المجموعات القصصية، بينها «قاب قوسين» و«تلك قضية أخرى»، (المجموعة التي فازت بالجائزة الأولى عن أدبية فتيات الشارقة هنتك 1999)، و«كل شيء على ما يرام»، مجموعة قصصية، «حبيبتني كوديا»، «ان تخاف رواية»، «بيت الخان رواية»، و«ما بعد الحب» (رواية ترجمت إلى الإنكليزية عام 2012)، و«في الطريق إليهم» (رواية)، «مطر الله» (رواية)، و«نساء العتيبات» (رواية)، «البيت المسكون»، فضلاً عن دراسة تحت عنوان قراءة في القصة والرواية».



وقاسمي يذر قيصاً مضافة مهمة. أنور خليفي، أمينة رزقي، يونس رحمون، حسن ضرسوي... في القيم المساعدة التي ينضج بها المتخصصون. ومثلما هي الحال في مجال العقار أو البورصة، لا تفتق سوق الفن أيضاً من قانون العرض والطلب. فهي مكونة من مضاربين ومستثمرين ومتبعين بل وجنّي صنّاع السوق الذين يؤثرون في ثمن لوحة ما، صعوداً أو هبوطاً.

هم الذين يوجهون سوق هواة المجموعات نحو عمل فني أو آخر أو نحو هذه اللوحة أو تلك. في خضم هذه المظلمات، ما هو الريح الذي يؤمل جنينه من توظيف المال في عمل فني؟ وعلى أي نوع من اللوحات يمكن أن نراهن رهننا؟

تشهد سوق الفن رهننا شغفاً خاصاً بالأعمال التجريدية للفنانين المغربية، ويحظى الجليلي الغرباوي وأحمد الشراويي وميلود الأبيض ومحمد قاسمي وعبدالكريم الوزاتي وآخرون دوماً بمؤشر جيد في سوق الفن التجريدي. وبحسب عبدالرحمن السعيد، مدير دار المزاد «ميموتار»: «نلاحظ ابتعاداً تدريجياً عن الطراز المستشرق الذي ساد منذ نحو 15 سنة، وعودة نحو اللوحة المغربية المعاصرة، التي في المتناول أكثر، مادياً وذهنياً». وبالتالي، ثمن هذه الأعمال في تصاعد مستمر.

الجدير ذكره أن الاهتمام يزداد حين يتعلق الأمر بفنانين متوقين، نظراً إلى أن الإنتاج ينحصر في ما هو متداول في السوق، وبالتالي تصبح اللوحات نادرة ويتضاعف الطلب عليها، فتتضاعف قيمتها.

تطور سريع تركيبة زينة على لوحة لميلود الأبيض تعود إلى السبعينات بيعت بـ 850 ألف درهم سنة 2011 في حين بيع عمل مماثل بيع سنة 2004 بـ 150 ألفاً، أي ما يعادل 500 في المئة من قيمتها الأولى خلال سبع سنوات. وفي جلسة بيع بالمزاد نظمتها الشركة المغربية للأعمال والأدوات الفنية في كانون الأول 2011، لوحة زيتية على ورق مقوى لمحمد قاسمي قدرت قيمتها بين 1.3 و1.5 مليون درهم رست على 1.8 مليون.

ينصون المتخصصون بالتوظيف طويل الأمد في الأعمال الفنية للراغبين في الحصول على عائدت مهمة جداً، رغم أنه في العديد من الحالات تتطور الأثمان على نحو سريع جداً.

من ناحية أخرى، يعمل الرسامون المعاصرون مثل محمد مليحي والمكي إغمارة ومحمد الشباع وفؤاد بلامين

## المغرب الثقافي



## مهرجان أدبي في «دار شعر» في دمشق

دمشق - محمد الخضز

أقامت «دار شعر» مهرجاناً أدبياً بمشاركة مجموعة من الشعراء وكتاب القصة تفاوتت كتاباتهم بين الشعر الخليلي الموزون والنثر، إضافة إلى بعض القصص القصيرة، وحملت معظم المواضيع طابعاً إنسانياً واجتماعياً.

الأديب الدكتور علي السمان ألقى بعض النصوص الشعرية التي تعتمد الومضة التصويرية في أسلوبها التعبيري، منتقياً لها ألفاظاً تتوافق مع الرؤية الحديثة، محاولاً تكثيف مشاعره وعواطفه ومعبوراً عن تأثره بما يدور في وطنه ويحبه له، كما جاء في نصه تحت عنوان «ما زال البحث جارياً عن وطن» إذ قال: «وطني... ما زال مختبئاً خلف جدران الخيبة... صائماً... يلعن مواسم الكراهية التي ناكل منها عذة وجبات باليوم... ومع كل إشراقة ليوم جديد... نسأل عن أولى المآذب... فقد استسغنا طعم الحقد... ووضحت الدماء سيده الولائم».

الشاعرة أسيل الأزغاط ألقى قصيدة عنوانها «بلووان» تصف فيها جمال هذه البلدة الجبلية العريقة التي يقصدها عشاق الطبيعة من كل حذب وصوب ولا يغادرونها إلا وقد امتلأت نفوسهم عشقاً لها وشوقاً، مبيّنة في القصيدة مدى حبها لهذه البلدة وتأثيرها بجمالها فقول: «فهل بعض طول اشتياقي سوى... لقاء مع الأمل المنتظر... «سأبقى أغنيد شعري الذي تضوع مثل الشذى وانتشر».

في قصيدة الشاعر الدكتور محمد سعيد العتيق «ملاكي والجلال» خلجات عاشق يتميز بالعمق، مختاراً ألفاظاً رقيقة ليصوغ بها رؤاه الغزلية على شكل وصف يمتزج بالشوق والعاطفة والمهفة إذ يقول: «تجدد الأمل الذي زارني قليلاً... لما رأى قمراً في شكله بشراً / ورحلت أغفو على أزهاره عبقاً... وكنت في شغف قد راقتي الخير.

الكاتبة شيرين حبش قرأت نصاً أدبياً يعبر عن خيال امرأة ترسم الحب بديرة عاطفة مع تتشكل من مفردات الطبيعة. نص أدبي حديث ومحاولة جادة للارتقاء بالكلمات إلى مستوى الأدب قوفاً في نص «اسميتك امل»: «تسللت من بين أذقة الزمن... وكهفلة هدمت لي أجمل نغم / أغفوت به على أرجوحة من الحب... يا من رسمت بسحر قلم». ارتقت عبارات الشاعرة أميمة ابراهيم إلى مستوى المشاعر الإنسانية الشافة وجمال الطبيعة في تكوين النص الشعري الذي عبرت فيه عن حالة حب راقية: «على شفتيك يزهر الحنان... ويشتعّل النور... إن صدحت كمناجيات الشوق / وفترت كقطع ظياء في راحتيك... تنقد مواسم اللهفة... إن مسها قلبتي أزهرت نرجس وبيبلسان».

الشاعر الدكتور مزاحم الكعب ألقى قصيدة بالمحكية، مزاجاً بين الشعر والموسيقى قدم فيها الشاعر شعوره الوطني، متغنياً بجمال الوطن وانعكاسه على العاطفة الشعرية كما في قصيدته «رغم كل السواد البيك» التي يعبر فيها عن تحدي الوطن للأزمة التي يعيشها وأن جمالها لن يزول كقولها /رغم كل السواد البيك... تظل أخرى وتظل بعيونه الجنة / ورغم كل الدمار البيك... يظل يك جمال الكون يستني».

نيرة الحزن طغت على قصيدة الشاعر مصطفى الحسن، تلفها أشواق عارمة وملامح غربة بين حروفها رغم اقتصرها على الحب والعاطفة، لكنها تعبر عن تطلعات إنسان يقاسي الغربة ويأخذ الشوق إلى الأحلام والأمل بلبقاء قريب مع أحباب ينتظرهم الشاعر، كما في قصيدة «صوتك»: «صوتك القادم من كل الكروم... يوظف السحر ويرسم فرحة الأعياد... في قلب الصغار... يكتب البشر ويسترضي الجراح... وأنا ما زلت موعوداً ببحر من نجوم / أغلق الليل مواويلي وراح».

في قصيدة «صرخة» جرح تعبر واد سلطان من خلاله عن رؤية فلسفية في فضاء شعري مفتوح على مساحات للحب والإنسانية، مبتعدة عن المباشرة والوقوع في ضبابية الرمز واشكالية الإغراق في المجهول: «أطلق لهيب القلب... كي تبدأ حريق الخاتمة... لا شيء يشبهك... سوى الإعصار / أعددت من روحي صراطاً للمساة».

## اختتام فعاليات مشروع

### «شغف الثقافي» في السويداء

اختتمت في صالة المركز الثقافي العربي في مدينة السويداء فعاليات الدورة العاشرة من مشروع «شغف الثقافي» بتقديم فعاليات «العازف الصغير» وعرض لحكواتي شغف تحت عنوان «الإيد عالايد... رحمة»، المشرف التنظيمي والتنفيذي للمشروع، منصور حرب، يقول: إن فعالية حكواتي شغف تهدف إلى تعزيز القيم الإيجابية لدى الأطفال، مبينا أن العرض الذي شارك فيه ثلاثة أطفال قدموا من خلاله ثلاثة قصص القوها ضمن نشاطات فعالية القارئ الصغير، تركز حول مفهوم التعاون وأهميته في حياة الإنسان.

المشرف على أطفال فعالية «العازف الصغير» الفنان أدهم عبيد يشير إلى أنه شارك في الفعالية عشرة أطفال موهوبين في مجال العزف المنفرد على آلات العود والكمّان والبيانو والغيتار تتراوح أعمارهم بين 8 و12 عاماً، وهدف الفعالية هدف إلى تعزيز مهارات الأطفال الفنية وتطويرها لتأسيس فرقة براعم شغف للموسيقى وتعوديهم على العمل بروح الجماعة والالتزام بها.

الجدير ذكره أن مشروع «شغف الثقافي» الذي أطلق في تموز الفائت بهدف إلى تشجيع الحالة التفاعلية في تبادل الثقافات والفنون وتمازجها واكتشاف الطاقات الإبداعية.



وفريد بكاهية، على استمرار وتيرة ذاك التطور الذي يعرفه الفن التجريدي المعاصر، ولا تفل أعمالهم قيمة عن أعمال الرسامين الراحلين.

فضلاً عن ذلك، لا يملع سوق الفن التشكيلي في المغرب فنانون مغاربة فحسب، فالأجانب أيضاً حاضرون، لكن أعمالهم بدأت تعرف شيئاً من الفطور بسبب غياب التجديد في المجال.

المؤكد أن سوق الفن تشهد سيطرة الفنانين الذين يوصفون بالقيم المضمونة، وظهروا فترة بين الخمسينات والسبعينات من القرن الفائت، ويتمّ تداول أعمالهم الموازنات كبيرة، لكن ذلك لا يعني أن الموازنات المتوسطة مقصية، فسوق الفن تتعج بالرسامين الصاعدين الذين يشقون طريقهم في المشهد الفني المغربي.